إنه القرآن

الشيخ عمرو الشرقاوي

اسم الدرس : مدارسة لكتاب النبأ العظيم
تصنيف الدرس : درس

مدارسة لكتاب النبأ العظيم

الشيخ/ عمرو الشرقاوي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

{الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين}، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد..

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

بدايةً مرحبًا بكم أيها الإخوة والأخوات، وأسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع.

في البداية أود أن أشكر الإخوة في مبادرة "زُوَّادة"، زادهم الله ﷻ نفعًا وبركةً، وأسأل الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

في بداية هذا البث الذي هو حول كتاب (النبأ العظيم) للشيخ "محمد عبد الله دراز" رحمه الله تعالى، وهذا الكتاب من الكتب التي نفاخر بها في هذا العصر؛ ونعني بالكتب التي نفاخر بها في هذا العصر أن في كل زمان يكتب العلماء كتبًا تتعلق بكتاب الله ﷻ، وفي هذا العصر أيضًا أكرمنا الله ﷻ بعدة كتب ودراسات حول كتاب الله ﷻ، ومن أعظم هذه الدراسات التي يمكننا أن نفاخر بها أهل العصور المتقدمة، أن نفاخر بهذا الكتاب العظيم (النبأ العظيم) للشيخ محمد عبد الله دراز –رحمه الله تعالى–.

الشيخ/ محمد عبد الله دراز: هو ابن العالم الكبير الشيخ/ عبد الله دراز –رحمه الله تعالى– الفقيه الأصولي عظيم القدر، له تعليق على كتاب (الموافقات) للإمام الشاطبي –رحمه الله تعالى–، ولم يأتِ أحدٌ بعد الشيخ عبد الله دراز –وهو أبو الشيخ محمد عبد الله دراز– إلا واستفاد من عمل الشيخ عبد الله دراز –رحمه الله تعالى– على كتاب (الموافقات) للإمام الشاطبي، رحمة الله تعالى على الجميع.

وابنه –الشيخ محمد عبد الله دراز– وُلِد عام ١٨٩٤ ميلادية، ودرس في معهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٠٥، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩١٢، وكان أول الناجحين فيها، وحاز على شهادة العالمية سنة ١٩١٦ وكان ترتيبه الأول، واختير للتدريب بالقسم العالي في الأزهر عام ١٩٢٨.

ثم سافر إلى فرنسا في بعثةٍ علميةٍ عام ١٩٤٦، وحصل على شهادة الدكتوراه برتبة الشرف العليا من السوربون عام ١٩٤٧، واشتغل –رحمه الله تعالى– بالتدريس في جامعة القاهرة وفي دار العلوم وفي كلية اللغة العربية بعد عودته، وعُيِّن –رحمه الله تعالى– في هيئة كبار العلماء ١٩٤٩، وتوفي –رحمه الله تعالى– عام ١٩٥٨ أثناء مشاركته في مؤتمر لاهور بباكستان، رحمه الله تعالى.

في الحقيقة من أبرز ما عُرف به الشيخ محمد عبد الله دراز.. وإنني سأقدم بهذه التقدمة لكي أبين لكم كيف خرج هذا الكتاب إلى النور، وأنا تركت ذلك عمدًا في مقدمة الكتاب، أي: تركت أن أبين ذلك عمدًا في مقدمة الكتاب لعلّةٍ؛ لكي يقرأ الناس سيرة هذا الإمام العظيم من مصادر متعددة، لكي يظهر لهم كيف خرج هذا الكتاب.

هذا الكتاب هو أنفس كتاب يمكن أن يُستفاد أو يُنتفع به في معرفة الشيخ/ محمد عبد الله دراز –رحمه الله تعالى– كتاب (النبأ العظيم)، طبعًا الشيخ/ محمد عبد الله دراز له كتبٌ كثيرةٌ، لكن من أنفس الكتب وأفضلها التي تتعرف بها على شخصية الشيخ دراز وعقليته وعلمه وبيانه هو الكتاب الذي هو بين أيديكم كتاب (النبأ العظيم).

الشيخ دراز –رحمه الله تعالى ورضي عنه– كما قلت سافر إلى السوربون، أي: سافر إلى فرنسا، وجلس في فرنسا قرابة اثنتي عشرة سنة، وطبعًا هناك مُغريات للحياة في فرنسا، ومع مغريات الحياة هذه في فرنسا إلا أن الشيخ دراز –رحمه الله تعالى– لم يضعف أمام تلك المغريات التي كانت موجودة في باريس.

وكان من أبرز ما يميز الشيخ/ محمد عبد الله دراز –رحمه الله تعالى–؛ القراءة اليومية لسُدس القرآن الكريم وفي التهجد والصلاة، ووصفه المقربون منه بأنه لا يُشاهَد في خلوته إلا قارئًا للقرآن أو مصليًا، حتى أن الشيخ –رحمه الله تعالى– يوجد بعض المقربين ممن رآه في فرنسا قال أنه كان يحافظ على ورد القراءة؛ أي ورد القرآن، حتى أثناء الحرب العالمية كان –رحمه الله تعالى– يحافظ على ورد القرآن اليومي، لا يترك ورد القرآن أبدًا، –رحمه الله تعالى ورضي عنه–.

وهذه الخصيصة أو هذه الصفة من صفات الشيخ رحمه الله تعالى، أعطته تمسكًا بدينه وحرصًا على تهيئة مبادئه وإظهار كنوزه، ولذلك سافر الشيخ –رحمه الله تعالى– إلى فرنسا ورجع مرةً أخرى إلى مصر، ولم يتغير لا مظهره ولا ملبسه ولا عاداته ولا تدينه –رحمه الله تعالى– كما يحدث عند بعض الناس عندما يذهب إلى الغرب ثم يرجع، وينبهر بحضارة الغرب، لكنه لم يزده ذلك إلا تمسكًا بدينه –رحمه الله تعالى– فزاد بهاءً ونورًا وجلالًا، كما يقول صديقه الشيخ/ محمد أبو زهرة –رحمة الله تعالى على الجميع–.

إذًا من أعظم الفوائد التي تستفيدها من قراءة كتب الشيخ دراز -رحمه الله تعالى- أن تعلم أن هذا الرجل كان مهمومًا بقراءة كتاب الله ﷻ، قراءة المتدبر المتأمل، حتى أخرج لنا تلك الكتب العظيمة عن القرآن التي ظل نفعها وسيظل نفعها -إن شاء الله تعالى- إلى أن يأذن الله ﷻ أن يُرفع القرآن من الصدور ومن السطور.

هذه أبرز صفة في الشيخ دراز -رحمه الله تعالى- هي التي أخرجت لنا كتاب (دستور الأخلاق في القرآن)، هي التي أخرجت لنا كتاب (مدخل إلى القرآن الكريم) من الشيخ دراز رحمه الله، هي التي أخرجت لنا الكتاب العظيم الذى هو بين أيدينا الذي هو كتاب (النبأ العظيم) للشيخ/ محمد بن الشيخ عبد الله دراز -رحمة الله تعالى على الجميع-.

التحقيق الذي بين أيديكم؛ والذي هو تحقيق عمرو الشرقاوي -طبعة مركز تفكر-، هذا التحقيق عليه عدة ملاحظات فأولى تلك الملاحظات، أن المحقق -الذي هو أنا- قدَّم له بمقدمة طويلة بعض الشيء، استغرقت تقريبًا ٧٩ صفحة من الكتاب، وتلك مقدمة كبيرة.

هذه المقدمة الكبيرة لخَّص فيها مقاصد كتاب (النبأ العظيم)، ولخص فيها كتابًا آخر للشيخ/ محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى؛ وهو كتاب (مدخل إلى القرآن الكريم)، وقدَّم بمقدمة تتميمية بمقاصد (النبأ العظيم)، فإن الشيخ محمد عبد الله دراز -رحمه الله تعالى- قصد أن ينفي التحريف عن كتاب الله ﷻ، وأن يقول أن هذا القرآن يستحيل أن يكون إلا كلام رب العالمين ﷻ.

الشيخ/ محمد دراز -رحمه الله تعالى- عاش في فرنسا للدراسة، الشيخ/ محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى أراد أن يبين في هذا الكتاب أن هذا القرآن يستحيل أن يكون كلام غير رب العالمين ﷻ، يستحيل سواء من الحجج الخارجية أو الحجج الداخلية الموجودة في القرآن الكريم؛ فلو نظرنا إلى القرآن الكريم من حيث ذاته سنجد أن القرآن الكريم يستحيل أن يكون من كلام غير الله ﷻ، ولو نظرنا في الحجج الخارجية للقرآن الكريم سنجد أيضًا أنه يستحيل أن يكون القرآن ليس كلام الله ﷻ.

فلذلك قدمت لهذا الكتاب بمقدمة، صحيح أنها لم تقدم فائدة كبيرة لأنها مقتطفة من كتاب الشيخ دراز رحمه الله تعالى، لكن فائدتها أنها تُقرِّب مقاصد الكتاب وتبين مقصدًا من مقاصد الكتاب أيضًا، وهو أن الفِرَق الإسلامية كلها اتفقت على نفي تحريف القرآن أو نفي التحريف عن كتاب الله ﷻ.

المفترض أن المدارسة عند الصفحة الثانية والتسعين، نحن سنمضي شيئًا شيئًا.

بعد الصفحة الثالثة عشر: **المقصود بالقرآن:**

بيَّن الشيخ رحمه الله ﷻ مقصوده بالقرآن، أي: ما القرآن الذي سيتحدث عنه؟ طبعًا هو سيُبيِّن بعد ذلك شيئًا من المسائل المنطقية سأبينها لكم إن شاء الله تعالى في موضعها؛ لكنه بيَّن –رحمه الله– بداية من الصفحة الثالثة عشر أن المقصود بالقرآن في كلامنا هو كتاب الله ﷻ، كتاب الله المنزل على محمد ﷺ المحفوظ بين الدفتين، المنقول إلينا جيلًا بعد جيل، والمتحدى بأقصر سورة منه.

ثم بدأ –رحمه الله تعالى– يبين أن القرآن ليس من كلام رسول الله ﷺ، يستحيل أن يكون من كلام رسول الله ﷺ؛ لأن القرآن نفسه بيَّن أن وظيفة النبي ﷺ تتلخص في: الوعي والحفظ، والحكاية والتبليغ، والبيان والتفسير، والتطبيق والترتيل، هذه وظائف النبي ﷺ المتعلقة بالقرآن الكريم؛ تتعلق بأربعة أمور فقط:

- **الأمر الأول: الوعي والحكمة.**
- **والأمر الثاني: الحكاية والتبليغ.**
- **والأمر الثالث: البيان والتفسير.**
- **والأمر الرابع: التطبيق والترتيل.**

فهذه هي الأمور الأربعة فقط المتعلقة بالنبي ﷺ في علاقته مع القرآن العظيم.

ثم قسَّم الشيخ الحجج المتعلقة بنفي التحريف عن القرآن الكريم إلى قسمين:

- **القسم الأول: الحجج الخارجية.**
- **والقسم الثاني: الحجج الداخلية.**

ماذا تعني الحجج الخارجية؟

أي: الحجج التي من خارج القرآن. وأنا حاولت أن أقسِّم الحجج التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى إلى عدة حجج:

- **الحجة الأولى: حجة الإقرار.**

أي: إقرار رسول الله ﷺ أن القرآن ليس من عنده.

ماذا يعني الإقرار؟ يقول الشيخ رحمه الله: إن المصلحة تقتضي أن ينسب النبي ﷺ القرآن إلى نفسه، لِمَ؟ لأن القرآن حدثٌ عظيم، العرب نفسهم انبهروا بهذا القرآن، فانبهار العرب بهذا القرآن يقتضي أن ينسب النبي ﷺ القرآن إلى نفسه، أن يقول: إن هذا القرآن من عندي، ومع ذلك النبي ﷺ قال: القرآن من عند الله.

فقال أيها الناس هذا كلام الله ﷻ، وكانت المصلحة تقتضي أن ينسب النبي ﷺ القرآن إلى نفسه، لِمَ؟ حتى تثبت زعامته وتروج حجته عند كثير من الناس؛ لأنهم أقروا أن هذا البيان الذي هو القرآن لا يشبه بيانهم؛ أي: العرب في زمن النبي ﷺ أقروا أن هذا البيان لا يشبه بيانهم، ولذلك لم يستطع أحدٌ منهم أن يجاري هذا البيان القرآني.

النبي ﷺ لم ينسب القرآن إلى نفسه، ولكن قال: أيها الناس، هذا القرآن هو كلام الله ﷻ.

فهذا الإقرار؛ إقرار النبي ﷺ على نفسه بأن هذا القرآن ليس من كلامه وإنما هو من كلام الله ﷻ حجةٌ قاطعة، عند من؟ عند من له عقل، فلا ينسب هذا القرآن إلى رسول الله ﷺ، ولكن ينسب هذا القرآن إلى من نسبه إليه وهو رب العالمين ﷻ.

قد يعترض معترض على هذا الكلام فيقول: إنما نسب محمدٌ ﷺ القرآن إلى ربه ﷻ ليستفيد من ذلك جلب الناس إلى طاعته، فبدأ الشيخ رحمه الله تعالى يرد على هذا الكلام، فقال: إن هذا الكلام فاسدٌ من جهة ذاته وفاسدٌ أساسه.

فنقول إن الشيخ رحمه الله قال: إن أول حجة -وهذه من أكثر الأسئلة التي تحتاج إلى شرح في الكتاب، والتي يستشكلها بعض الناس في الكتاب- أنَّ الشيخ -رحمه الله تعالى- قال: "**إن النبي ﷺ أقر على نفسه أن القرآن ليس من كلامه، وإنما هو من كلام الله ﷻ**".

بالطبع القرآن حاجّ العرب في بيانهم، فمن المفترض أن هذا الإقرار عند من له عقل حجة، فمثلًا: إن انبهر كل الناس بكتاب على سبيل المثال، وكل الناس سعداء به، وهذا الكتاب أنا نشرته، لكن قلت لهم: يا إخواني هذا الكتاب ليس كتابي، هذا الكتاب كتاب فلان مثلًا، فمن المفترض أن يدرك العاقل أن المصلحة تقتضي أن أقول إن هذا كتابي، فإذا قلت أن هذا الكتاب ليس كتابي، مع أن هذا الكتاب بهر العرب، فالمفترض أن هذا الإقرار حجة.

فماذا حدث؟! الذي حدث أن النبي ﷺ قال أن هذا الكتاب هو كلام الله ﷻ، أقر على نفسه أن هذا القرآن ليس من كلامه وإنما هو من كلام الله ﷻ، فالمفترض أن هذه حجة قائمة بذاتها، فالشيخ

افترض اعتراضًا، قال أنه من الممكن أن يعترض أحد فيقول: "إن محمدًا ﷺ، نسب هذا القرآن إلى الله ﷻ؛ لكي يستجلب مزيدًا من الأتباع".

فقال الشيخ –رحمه الله تعالى– أن هذا خطأ وفاسد من جهة أصله، ومن جهة أساسه، ففاسد من جهة ذاته؛ لأن القرآن نفسه أوجب طاعة رسول الله ﷺ وجعل طاعته من طاعة الله، ففي الأصل النبي ﷺ لا يحتاج إلى بسط طاعته أصلًا؛ لأن طاعته واجبة، فلا يحتاج إلى نسبة القرآن إلى الله لبسط طاعته؛ لأن طاعته موجودة في هذا الكلام نفسه، فلو نسب هذا الكلام إلى نفسه أو نسبه إلى الرب لا فرق، لأن طاعته واجبة في هذا الكلام –القرآن–؛ فهو لا يحتاج إلى أن ينسب الكلام إلى الله ﷻ؛ لكي يستجلب مزيدًا من الطاعة، لأن طاعته واجبة.

وفاسد من جهة أساسه لأنه مبني على افتراض باطل، فما هو الافتراض الباطل؟!

أن هذا المعترض يفترض أن النبي ﷺ قد يكذب أو يُسوّغ لنفسه الكذب –والعياذ بالله–؛ حتى يصل إلى مقصده.

وقال الشيخ –رحمه الله تعالى– أن هذا يستحيل على رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ وصفاته وشمائله قبل النبوة وبعد النبوة تأبى أن يكون كاذبًا، فقد كان ﷺ في مكة يُسمى "الصادق الأمين"، هذا أمر.

الأمر الآخر أن الوحي قد تأخر عن النبي ﷺ في حوادث مهمة مثل: "حادثة الإفك"، فلو كان النبي ﷺ ممن يُسوّغ لنفسه الكذب لأتى بكلام في تلك الحوادث؛ في حادثة الإفك أو في غيرها من الحوادث.

وذكر عدة مواقف تدل على صدق رسول الله ﷺ، وأنه لم يكن ليترك الكذب على الناس، ويكذب على الله ﷻ.

هذه هي الحجة الأولى المتعلقة بالإقرار.

- **أما الحجة الثانية: أن في القرآن ما لا يُستنبط بالعقل ولا بالتفكير، وفيه ما لا يدرك بالوجدان ولا الشعور.**

فمن الممكن أن يقول أحدٌ ما أن النبي ﷺ بلغ حدًّا من الذكاء يؤهله أن يأتي بمثل هذا القرآن، فالشيخ –رحمه الله– يقول: "لا، مستحيل"؛ بل إن في القرآن ما لا يدرك بالعقل والتفكير، وما لا يستنبط بالعقل والتفكير، ولا يدرك بالوجدان ولا الشعور، مثل: الوقائع التاريخية، فالوقائع التاريخية لا مدخل للعقل والذكاء فيها، فمن أين أتى النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان هناك أنبياء مثل: هود

وصالح ومدين، من أين جاء بقصص الأنبياء كلها؟ هذه الوقائع التاريخية لا تُستنبط بالعقل ولا بالتفكير ولا تدرك بالوجدان ولا بالشعور.

حسنًا، وأيضًا الحقائق الدينية الغيبية لا مدخل للعقل فيها، تفصيل وصف الجنة، وتفصيل وصف النار، بل ذكر بعض الأرقام كعدد الملائكة، الذين وكلهم الله ﷻبالنار، هذا كله يستحيل معه أن يكون القرآن من عند النبي ﷺ، أو يكون النبي ﷺ قد استنبطه بعقله أو بتفكيره، أو أدركه بوجدانه وشعوره.

أو أنباء المستقبل التي جزم النبي ﷺ فيها، فأنباء المستقبل تقتضي أيضًا أن يكون القرآن من عند غير رسول الله ﷺ.

- **الحجة الثالثة: أمية النبي ﷺ، وعدم أخذه عن معلم من البشر دليل على كون القرآن من عند الله.**

النبي ﷺ باتفاق الناس لم يكن يقرأ ولا يكتب قبل البعثة، قال الله ﷻ: { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}[العنكبوت:48]، النبي ﷺ لم يكن يعرف القراءة والكتابة بنفسه –صلوات الله وسلامه عليه–

أما أن يدعى أن النبي ﷺ قد أخذ القرآن عن معلم، فتعالوا نبحث عن هذا المعلم..

هل هذا المعلم يمكن أن يكون من قريش؟ لا، يستحيل.

لأن هذا المعلم لو كان من قريش، فكان أولى بأهل قريش أن يتعلموا منه، كما تعلم منه محمد ρ، ولذلك قال الله ﷻ: {لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}، فعندما فاض بهم وبدأوا يتخبطون ويهذون، قال الله عزَّ وجلَّ: { لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ }؛ أي: يميلون إليه، {أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}.

هل يمكن أن يكون النبي ﷺ قد أخذ القرآن من اليهود والنصارى؟ يستحيل.

لأن القرآن نفسه وصف عقائدهم بأنها خرافات، وعلومهم بأنها جهالات وأعمالهم بأنها جرائم ومنكرات؛ بل كان القرآن بمثابة الأستاذ الذي يُصحح لأهل الكتاب عقائدهم وعلومهم، وأفكارهم؛ فلذلك لا يمكن أن يكون القرآن مأخوذًا من اليهود والنصارى، كما أن في القرآن ما لا يوجد في كتب اليهود والنصارى، سواء في القصص أو في الأحكام، { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ }[الأعراف:157] ففي القرآن ما لا يوجد في كتب أهل الكتاب.

وردَّ الشيخ أيضًا على الشبهة المتعلقة بأن يكون النبي ﷺ قد أخذ القرآن من "بحيرى الراهب" أو من "ورقة بن نوفل"

لأن ورقة بن نوفل نفسه لم يلتقِ النبي ﷺ به إلا مرةً واحدة بحضور خديجة –رضي الله عنها وأرضاها–، وقال له ورقة بن نوفل: "ليتني فيها جذعًا إذ يخرجك قومك" فقال النبي ﷺ: (أو مخرجي هم!)[1] قال: "ما أتى أحدٌ بمثل ما جئت به إلا أوذي".

وبحيرى الراهب التقاه النبي ﷺ في محضر من القوم، ولم يكن النبي ﷺ في ذلك الوقت، ممكنًا له أن يأخذ عن بحيرى الراهب في ذلك الوقت اليسير، هذا الكتاب العظيم.

فهذه هي الحجج الثلاث الأولى.

- **أما الحجة الرابعة: ظاهرة الوحي**

أن الوحي حالة غير اختيارية، وليست حالة مرضية، لماذا؟! لأن ما يخرج عن هذا الوحي نورٌ لا ظُلمة فيه، أما الحالات المرضية مثل: الصرع على سبيل المثال، أو مثل الجنون، فالذي يخرج عنها ظلام، فمن الممكن أن يكسر شيئًا، من الممكن أن يَسُبَّ إنسانًا أو أن يفعل كذا أو كذا، لكن الوحي ظاهرة، وحالة غير اختيارية، ما يخرج عنها نورٌ لا ظلمة فيه.

---

[1] [عن عائشة أم المؤمنين:] عَنْ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أنَّها قالَتْ: أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَنْزِعَ إلى أهْلِهِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتّى جاءَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ} [العلق: ١- ٣] فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الخَبَرَ: لقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعِبْرانِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِي ماذا تَرى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ ما رَأى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ على مُوسى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ. وقال: يونس ومعمر (بوادره)
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)

حالة الوحي أيضًا وقوة هذا الملك الذي يأتي إلى النبي ﷺ، وما وصفت به أحوال النبي ﷺ في الوحي تدل أيضًا على أن القرآن ليس من عنده، النبي ﷺ منفعل لا فاعل؛ صلوات الله وسلامه عليه؛ ولذلك قال ربنا ﷻ: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[القيامة:16-18].

وكان النبي ﷺ يُسأل السؤال فيسكت؛ حتى يأتي الوحي، فلو كان هذا الوحي من عند رسول الله ﷺ، لما كانت هذه الحالة التي شهدها أصحابه -صلوات الله وسلامه عليه-، لم تكن تحصل لرسول الله ﷺ.

فهذه هي الحجج الخارجية التي هي من خارج القرآن الكريم.

وصلنا للصفحة الثانية والعشرون.

القسم الثاني: الحجج الداخلية

وأنتم تقرؤون الكتاب لاحظوا أن الشيخ -رحمه الله تعالى- يفصل ما بين الحجج الخارجية وما بين الحجج الداخلية؛ يقول الشيخ -رحمه الله تعالى- أن هناك حجج خارج القرآن تدل على أن القرآن ليس من عند رسول الله ﷺ، وهناك حجج داخل القرآن تدل على أن القرآن ليس من عند رسول الله ﷺ، فهذه بعض الحجج الخارجية، فما هي الحجج الداخلية؟

- **الحجة الأولى: حجة التحدي**

قال: "إن أول حجة من الحجج الداخلية التحدي؛ لأن القرآن تحدى العرب، والعرب هم أرباب الفصاحة والبيان؛ ومع ذلك عجزت العرب أن تأتي بمثل القرآن الكريم، قال لهم الله: ائتوا بعشر سور..، ائتوا بسورة.

القرآن تحداهم أولًا؛ ائتوا بمثل هذا القرآن فلم يستطيعوا، ائتوا بعشر سور مثل القرآن فلم يستطيعوا، ائتوا بسورة واحدة مثل القرآن، ائتوا بسورة واحدة من مثل القرآن، لم يستطيعوا أيضًا، وأباح لهم القرآن أن يستعينوا بمن شاءوا؛ أي: من الجن والإنس، أن يستعينوا بهم لكي يأتوا بمثل هذا القرآن؛ قال الله ﷻ: { لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }[الإسراء:88].

وآيات التحدي قد بلغتهم؛ كان يقول لهم، وكان يتحداهم، والقرآن موجود، وهم يبلّغون كتاب الله ﷻ، هذه وظيفة النبي ﷺ فربنا ﷻ تحداهم في هذا القرآن العظيم، ولم يستطع أحدٌ منهم أن يأتي بمثل القرآن الكريم، مع أن الأسباب متضافرة موفورة، ولو أتوا بمثل القرآن لقضوا على الدعوة؛ على دعوة النبي ﷺ في بدايتها، لو استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثل القرآن العظيم، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ منهم أن يأتي بسورة من مثل كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولذلك من الأمور المهمة التي تنتبه لها؛ أن أي طعن يُوَجه إلى عربية القرآن من المتأخرين عن زمان رسول الله ﷺ فلا عبرة به؛ لأنه لو كان بعض المستشرقين مثلًا أو أذنابهم من العرب أحيانًا يعترضون على شيء، مثلًا في لغة القرآن الكريم سواء في لغته، أو إعرابه، فيقول أن هذا مخالفٌ للقواعد النحوية، أو مثلًا مخالف للغة العرب.

فهذا لا يُلتَفت إليه أصلًا؛ لأن القرآن نزل في قلب العرب، فلو وجد العرب فيه مدخلًا للطعن لما تأخر أحدٌ منهم، لو كان هناك مدخلٌ واحدٌ يمكن أن يطعن في القرآن الكريم في عربيته، لما تأخر واحدٌ منهم أن يطعن في عربية القرآن الكريم، لكن أحدًا منهم لم يفعل ذلك، ولا يستطيع أحدٌ منهم أن يفعل؛ لأن القرآن في أعلى درجات الفصاحة والبيان؛ فلذلك أي إنسان يطعن في عربية القرآن الكريم من هؤلاء فهذا باطلٌ في ذاته.

- **الحجة الثانية: جديد لغة القرآن الكريم**

الذي ذكره الشيخ -رحمه الله تعالى- أن القرآن الكريم لم يخرج عن لغة العرب، ولا عن سننها في الكلام، لكنه تخيَّر لكل شأنٍ يريد أن يتناوله أشرف المواد، وأمسها رحِمًا بالمعنى اللغوي، فمثلًا في قول الله ﷻ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[التكاثر:1-2]، إذا حذفنا لفظ {زرتم} وأردنا أن نضع لفظًا مكانه، كلفظ "دفنتم" أو "وضعتم" أو كذا أو كذا.. لو بحثت في لسان العرب كله لما استطعت أن تأتي بكلمة تؤدي نفس معنى الزيارة، لأن الزيارة ليست استقرارًا، بل الزيارة تستغرق بعض الوقت وسيغادر.

فلذلك أي لفظة في كتاب الله ﷻ لو أردت أن تنزعها من مكانها، لو بحثت كما يقول ابن عطية -رحمه الله تعالى-: "لو أدرت لسان العرب كله أن تأتي بلفظة مكانها، لن تستطيع ولم تستطع أن تأتي بلفظة تؤدي نفس المعنى الذي أدته تلك اللفظة في مكانها في كتاب رب العالمين ﷻ".

ولذلك لا يمكن أن يستريب البليغ العالم في الفرق بين ألفاظ القرآن الكريم وبين ألفاظ رسول الله ﷺ، فمن الممكن أن يحصل للإنسان نوع من الاسترابة، هل هذا اللفظ من لفظ رسول الله ﷺ أم لا؟ لكنه أبدًا لا يستريب أن يكون هذا المقروء هو كتاب الله سبحانه وتعالى.

- **الحجة الثالثة: النظام الصوتي والجمال التركيبي**

فما معنى النظام الصوتي؟ يقول رحمه الله تعالى أن هناك شيئًا في القرآن يأخذ بقلب الإنسان إذا استمع إليه، فإذا خرج القرآنُ من إنسانٍ يستطيع بالفعل أن يوصل كلام الله ﷻ إلى الناس، فإن القرآن يصل إلى القلب مباشرة ويسيطر عليه، وهو ما يسميه الشيخ إبراهيم السكران –رضي الله عنه وبارك فيه– "سطوة القرآن".

ولذلك سبحان الله لو قرأتم سورة النجم {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم:1-2] الصحيح أنه قد سجد المشركون في آخر تلك السورة، فلِمَ سجدوا؟ لجلالة ما كان يتلى عليهم، تأملوا آخر سورة النجم: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى * أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءِ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى * وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ... وَأَنَّهُ...}.

سبحان الله! ستجد الله ﷻ يقول: {وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ * وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ * وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ * وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ * وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ * فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ}، فجأة! {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} فسطوة هذا الكلام، وأنه.. وأنه.. وأنه.. وأنه.. لم يملك أهل الشرك إلا أن سجدوا من سطوة هذا الكلام عليهم.

لذلك القرآن فيه فعلًا نظام صوتي وجمال تركيبي لا يوجد في غيره من الكلام، وهذا في كل سورة من سور القرآن؛ كل سورة من سور القرآن لها نظامٌ صوتي، ولذلك قال الشيخ –رحمه الله–: "أنه ليس بالحضري الفاتر ولا بالبدوي الخشن، بل امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها، برقة الحاضرة وسلاستها"، وهذا لا يمكن أن يكون لكلام غير كلام الله ﷻ..

- **الحُجة الرابعة: الخصائص البيانية للقرآن الكريم**

تعددت الخصائص البيانية في القرآن الكريم، ومنها: **القصد في اللفظ، والوفاء بالمعنى** -أنا طبعًا أَمُرُّ على هذه الحُجج مرورًا سريعًا لأنها -إن شاء الله- ستُفسر لكم في المدارسات القادمة- القصد في اللفظ، والوفاء بالمعنى.

القصد في اللفظ: أي: قلة الألفاظ مع جزالة المعاني أو كثرة المعاني.

ولذلك -سبحان الله- من الأشياء اللطيفة أن الإنسان ينظر إلى تفسير العلماء للَفظة، فيجد ما يسمونه "اختلاف التنوع"، فهذا قد يصلح مثالًا؛ أن الله ﷻ قال: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة:6]، تجد مثلاً تفسيرات كثيرة للصراط المستقيم، ولو نظرنا مثلًا إلى: { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }[التكاثر:8] تجد هذا النعيم لا ينفد! فأيّ نعيم يدخل في هذا النعيم، وهذا قصدٌ في اللفظ ووفاءٌ بالمعنى.

وحتى في المشترك اللفظي، مثلًا يقول الله ﷻ: { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ }[التكوير:17]، تجد أن العلماء يقولون: إن "عسعس" تأتي بمعنيين، بمعنى أقبل وأدبر، وأن كلا المعنيين يجوز حمل الآية عليه، فسبحان الله! من يقرأ في مسألة اختلاف التنوع يدرك شيئًا مما أراده الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذا.

الجمع بين خطاب العامة والخاصة

- ولذلك قال ربنا ﷻ: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[النساء:82]
- وقال الله ﷻ: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[محمد:24]
- وقال الله ﷻ: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ }[ص:29].

طبعًا التدبر كما تعلمون مختلفٌ بحسب اختلاف العلم الذي يؤتاه الإنسان، فتدبر العَالِم ليس كتدبر غيره، العالِم بالتفسير أو العالم بعلوم متعددة يدرك من أسرار هذا الكتاب ما لا يدركه غيره.

فالقرآن يرِدهُ الخلق جميعًا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والقرآن مَورِد يَرِده الخلقُ جميعًا، وكلٌّ يصدر عنه بحسب ما معه" كلٌّ يصدر عن القرآن بحسب ما معه، فهو موردٌ مثل البحر، شخصٌ ما معه زجاجة صغيرة، وآخر معه زجاجة كبيرة، وآخر معه زجاجة أكبر، وآخر معه حافلة تمتلئ بالماء.

فكل إنسان يعطيه الله ﷻ بحسب علمه، ولذلك ابن تيمية نفسه -رحمه الله- كان يطالع في تفسير الآية الواحدة قُرابة مائة تفسير، ثم لا تشفي ما في صدره نحو هذه الآية، فكان يقول: "يا معلم

إبراهيم علِّمني"، وقال في آخر حياته في كلمته المشهورة: "وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن الكريم".

فإذًا تجد في القرآن الكريم: الجمع بين خطاب العامة والخاصة **وإقناع العقل وإمتاع العاطفة**.

ولذلك سبحان الله! لو تتأملوا مثلًا في سورة النساء ذكر الله ﷺ أحكامًا شرعية، تأملوا في ثنايا الأحكام الشرعية، هذه أحكام شرعية عملية، لكن تأملوا في ثنايا الأحكام الشرعية، ستجد في صلب الأحكام الشرعية { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا }، تجد في آيات المواريث هذا له كذا وهذا له كذا وهذا له كذا، ثم يقول ربنا ﷻ: { آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ } [النساء:11] سبحان الله!

فتجد أن القرآن يُمازج، يمزج ما بين العلوم العقلية وما بين أيضًا العاطفة التي يحتاجها كل إنسان، فهذه من الخصائص البيانية للقرآن.

الجمع بين البيان والإجمال؛ البيان: الأمور الواضحة يفهمها الناس، لكن المجمل: هو الذي يدركه العالم أو يدركه نحوه.

والوحدة الموضوعية: فصَّلها الشيخ –رحمه الله تعالى– في آخر الكتاب في سورة البقرة.

وبالمناسبة من باب الفائدة الشيخ –رحمه الله تعالى– له عدة تقديمات صوتية لبعض السور القرآنية، فعل فيها مثل ما فعل في سورة البقرة، –طبعًا هذا من باب الفائدة فهي مدارسة– بمجرد أن سمعت صوت الشيخ دراز –رحمه الله تعالى– انفعلت انفعالًا عجيبًا.. سبحان الله! تسمع صوتًا كأنه قادم من بعيد فعليًّا –رحمة الله تعالى عليه– وطبعًا لا يختلف بيانه –رحمه الله تعالى– سواء البيان الصوتي أو حتى في كتابته –رحمه الله تعالى–.

وطُبع أيضًا كتاب اسمه (من روائع التفسير) مؤخرًا، وهو مطبوعٌ من سنة، فيه أيضًا بعض التنبيهات على الوحدة الموضوعية، وعلى منهج الشيخ –رحمه الله تعالى– في الوحدة الموضوعية، إن شاء الله نستطيع أن نرسلها للإخوة في "زُوَّادة"، وهم يضعونها لكم –إن شاء الله–؛ تقديمات الشيخ الصوتية لبعض السور القرآنية، وهذه هي المقدمة الأولى.

وفي الحقيقة الأخ الذي قال إن هذه المقدمة كانت من الممكن أن تُختصر، هي وجهات نظر في النهاية، ولكني أردت بهذه المقدمة أن أحاول تقريب هذه المعاني، قد أكون قد وُفّقت في تقريبها وقد أكون لم أُوَفق لتقريبها.. وكلٌّ يؤتيه الله عزَّ وجلَّ من فضله، فهكذا انتهى تقريب الكتاب.

❖ المقدمة الثانية: هي موقف المسلمين من القرآن العظيم

أظن أنها لا تحتاج إلى كبير شرح، فمقصود هذه المقدمة بالأساس أن الفرق الإسلامية –على اختلافها– كانت تُعظِّم كلام الله ﷻ، وكانت تعتبر القرآن مرجعًا، وحتى الفِرق التي نُسِب إليها أنها تقول بتحريف القرآن نجد من داخل هذه الفرق نفسها من يرد عليهم ومن يكفرهم بسبب أنهم يقولون بتحريف القرآن الكريم.

ثم ذكرت مبررات الإيمان بسلامة وصول النص القرآني إلينا سالما من التحريف، في الصفحة السادسة والأربعين.

سؤال من أحد الحضور: أريد شرح مثال على القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى.

نحن قلنا أنه من الأشياء التي يُشرح بها القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى ما يسميه العلماء "باختلاف التنوع"؛ اختلاف التنوع أنك تجد لفظة واحدة لكنها تحتمل معاني كثيرة جدًّا

- مثل: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }[الفاتحة:6]، الصراط المستقيم: هو الإسلام، القرآن، السُنة، طريق أبي بكر وعمر –رضي الله عنهم–، طريق الأئمة إلى آخره.
- أو { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }[التكاثر:8]، النعيم قد يكون: الصحة، الأمن، العافية، الشاي الذي نشربه... قد يكون عدة أشياء.

إذًا فما هي مبررات الإيمان بسلامة النص القرآني؟

ذكرت عدة مبررات للإيمان بوصول النص القرآني إلينا سالما من التحريف:

- **الأول: العناية بالقرآن في عهد النبي ﷺ**
- **ثانيًا: العناية بالقرآن في عهد أبي بكر –رضي الله عنه–**
- **ثالثًا: العناية بالقرآن في عهد عثمان –رضي الله عنه–**
- **رابعًا: تلقي القرآن بالمشافهة**

فبالعقل يا إخوة، هل يمكن أن يشك عاقلٌ أن سورة الفاتحة التي نقرأها في المحاريب، هي التي كانت تُقرأ في زمان النبي ﷺ؟ لا يشكك في هذا من له عقل!

لأن المحاريب لم تنقطع في أي عصر من عصور الإسلام الحمد لله، الناس تصلي، المسلمون كلهم يصلون في محاريبهم، فطبعًا المحاريب يُقرأ فيها القرآن، لأن القرآن يُقرأ في الصلاة، فيسمع الناس القرآن في الصلاة، فلذلك تلقي القرآن بالمشافهة؛ سواءً في المحاريب، أو تلقي القرآن بالمشافهة الذي هو الإجازات القرآنية؛ أن تذهب لتقرأ على شيخ، والشيخ قرأ على شيخ، والشيخ قرأ على شيخ... إلى أن يصل إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ تلقاه من جبريل عليه السلام، وتلقاه جبريل من رب العزة ﷻ.

- **خامسًا: عدم وجود فجوة تاريخية في مسار القرآن الكريم**

فنحن في كل عصر من عصور القرآن العظيم، نجد المئات، والألوف، والملايين، يحفظون كتاب الله ﷻ.

ثم رددت على بعض الشبه التي يثيرها بعض الناس عن مصاحف الصحابة -رضي الله عنهم-، وذكرت بعض أوجه عناية الأمة الإسلامية بكتاب الله ﷻ، وفيها لطائف، تأمل اعتناء الأمة بعلوم القرآن، اعتناء الأمة بفضائل القرآن، وهكذا..

فلتنظر مثلًا إلى المكتبة القرآنية، فتجد دليلًا أظن ألفه معهد الإمام الشاطبي في مجلدين، عن العناية بالقرآن الكريم، ويوجد كتاب اسمه (معجم مصنفات علم الوقف والابتداء) في ستة مجلدات كبار، ولم يستوعب المؤلف المصنفات كلها -بحسب ما قاله-، ستة مجلدات في علمٍ واحد من علوم القرآن؛ علم الوقف والابتداء! وتفاسير القرآن التي لا نجد فيها إلا كتاب الله ﷻ.

ثم في المقدمة الثالثة -وأرجو ألا أكون قد أطلت عليكم- لخصت كتابًا آخر للشيخ -رحمه الله- وهو كتاب (مدخل إلى القرآن الكريم)، وهو رسالة كان الشيخ -رحمه الله- قدمها إلى السوربون، ثم بعد ذلك تُرجمت إلى العربية.

الفكرة أن (مدخل إلى القرآن الكريم) فيها أفكارٌ كثيرة متداخلة مع (النبأ العظيم)، فحاولت أن آتي ببعض الفوائد التي أضافها الشيخ -رحمه الله تعالى- في (مدخل إلى القرآن الكريم)؛ لتكون هنا في هذا الكتاب.

في الصفحة الثانية والثمانين تجد فيها تحديد معنى القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الحديث القدسي، هذا الموضع لا يحتاج إلى شرح، لكن الذي يحتاج إلى شرح هو قول الشيخ -رحمه الله-:

"القرآن في الأصل مصدر على وزن فُعلان بالضم، كالغُفران والشُّكران والتُّكلان؛ تقول: قرأته قرءًا وقراءةً وقرآنًا بمعنى واحد، أي: تلوته تلاوةً"واستدل على ذلك بقول الله ﷻ: { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }[القيامة:17-18]، أي قراءته.

قال: "ثم صار علَمًا شخصيًّا". العلَم الشخصي هو اللفظ الذي يدل على تعيين مسماه تعيينًا مطلقًا، مثل: "زُوَّادة"، عندما: نقول "زُوَّادة"، أنت يرتسم في ذهنك البرنامج المبارك الذي يُسمى "زوادة"، زوادة هذه صارت علَمًا شخصيًّا على هذا البرنامج الذي يقرأ الناس فيه كتبًا، الذي يستفيد منه الناس كذا، إلى آخره.

معنى هذا أنك حينما تسمع لفظ القرآن، ينصرف ذهنك إلى هذا الكتاب المحفوظ الذي هو كتاب المسلمين، وهذا هو الاستعمال الأغلب، ومنه قوله ﷻ: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..}[الإسراء:9] إذًا هذا معنى "علَمًا شخصيًّا".

ثم قال في الصفحة الرابعة والثمانين: "ولما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيًا حقيقيًّا". هذا لفظ منطقي؛ أي: من علم المنطق، والجزئي الحقيقي: هو المفهوم الذي يمتنع صدقه على أكثر من واحد، يعني هو مفهوم لكن يمتنع أن يكون صادقًا على أكثر من واحد.

فالقرآن بهذا المعنى الذي ذكره الشيخ -رحمه الله سبحانه وتعالى- صار جزئيًّا حقيقيًّا؛ الجزئي الحقيقي على حسب اصطلاح المناطقة لا يُعرَّف، لأن المناطقة عندهم شروط للتعريف، المناطقة عندهم الحد له شرط، الحد الذي هو التعريف له شروط، فهذه الشروط التي وضعها المناطقة، لا تنطبق على القرآن الكريم، لماذا؟ لأنه جزئي حقيقي، والجزئي الحقيقي كيف يُعرَّف عند المناطقة؟

الجزئي الحقيقي يُعرَّف عند المناطقة بالإشارة، فإذا قال لك أحدهم: "ما القرآن؟" تريه المصحف، أنت هكذا أريته القرآن؛ لأن القرآن جزئي حقيقي، والجزئي الحقيقي يمتنع أن يُعرَّف عند المناطقة إلا بالإشارة.

فقال الشيخ -رحمه الله تعالى-: "القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيًّا حقيقيًّا؛ كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص"، الجنس والفصل والخاص هذه ألفاظ منطقية، هذه مصطلحات منطقية، المناطقة عندهم شيء اسمه الكليات الخمس، وهي: الجنس والفصل والخاص والعرض العام والنوع، كل لفظ من هذه الألفاظ له معنى عند المناطقة.

الجنس هو: الكلي الذي يشتمل على الماهية المشتركة بين متعدد، مختلف في الحقيقة.

والجنس مثل: لفظ الحيوان، لفظ الحيوان يشمل الإنسان، يشمل الفرس، فهو كل مقول على كثيرين لكن مختلفين في الحقيقة، فحقيقة الإنسان غير حقيقة الفرس.

فهو يقول أن هذه التعاريف المنطقية تتكون من الحد ويتكون من: جنس وفصل، جنس وخاص وهكذا، فيقول يستحيل أن نُعرِّف القرآن الكريم بهذه التعاريف المنطقية، فأي تعريف يمكن أن يذكره عالم يندرج تحت المعاريف المنطقية للقرآن، سيكون خطأً، إنما هو من باب التقريب فقط، هذا كله بحث منطقي.

ولذلك عرّفه الشيخ –رحمه الله تعالى– بقوله: "القرآن كلام الله تعالى، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته".

أراد الشيخ –رحمه الله– أن يقول في هذه الفقرة أن أي تعريف تراه في أي كتاب للقرآن الكريم فهو من باب التقريب فقط، ولا يكون مناسبًا للتعاريف المنطقية المستقرة عند المتأخرين، ثم ذكر الشيخ –رحمه الله– الفرق بينه وبين الحديث القدسي.

ثم بَحث الشيخ –رحمه الله– مصدر القرآن وإثبات أنه من عند الله بلفظه ومعناه، فذكر ما ذكرناه قبل ذلك؛ أن القرآن صرّح أنه لا صنعة فيه لمحمد ولا غيره من الخلق، وأن النبي ﷺ أقر أن القرآن ليس من عنده، وهذا من أقوى الأدلة على أن القرآن هو كلام الله ﷻ، وأن أحوال النبي ﷺ دليلٌ على صدقه في قوله أن القرآن كلام الله ﷻ، وأن احتياج النبي ﷺ إلى الوحي أحيانًا وتأخره عنه دليلٌ أيضًا على كونه من عند الله ﷻ.

بهذا نكون قد ألممنا بشيءٍ أو بطرف من الموضوع، وأسأل الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع.

وأنا في الحقيقة أكرر شكري إلى "زُوَّادة"، حقيقةً مشاركتي معهم قديمة بعض الشيء، فأسأل الله ﷻ أن يبارك فيهم وأن ينفع بهم وأن يجازيهم خير الجزاء.

أرجو أن يكون هذا إن شاء الله من العلم الذي يبقى، وأنا أحثكم في نهاية هذا المجلس على القراءة للشيخ دراز –رحمه الله تعالى– وألا تتوقفوا عند هذا الكتاب الذي هو (النبأ العظيم)، فهو وإن كان حقًّا من أعظم الكتب التي كتبها الشيخ –رحمه الله تعالى– إلا أنكم ستجدون متعةً وفائدةً في سائر كتب الشيخ –رحمه الله تعالى–.

خطتي في العناية بالكتاب:

الكتاب في الأساس لم يكن في تلك الفترة متوفرًا، فجاءت فكرة العناية بالكتاب، وحاولت أن أُخرِج الكتاب كما تركه الشيخ -رحمه الله تعالى-، لأنني وجدت أنه يوجد بعض التصرف في الطبعات التي نفع الله ﷻ بها وانتشرت بين الناس، كطبعة طيبة، وطبعة دار القلم، هذه الطبعات نفع الله ﷻ بها نفعًا عظيمًا، والحمد لله رب العالمين، إلا أنها لم تكن متوفرة في ذلك الوقت، هذا من جهة.

ومن جهةٍ أخرى أو من الجهة الثانية أنني حاولت إخراج الكتاب على النسخة التي تركها الشيخ -رحمه الله تعالى- لأنه يوجد بعض الأشياء التي قد حُذِفت، أو بعض الأشياء التي لم توضع، أو حصل سقط يسير في بعض المواضع، حاولت أن أصلح ذلك كله، وقدمت بهذه المقدمات التي ترونها، لعل بعض الناس يرى فيها فائدة، ولعل بعضهم لا يرى فيها فائدة، وهذا أمر يمكن أن يتداول فيه، فالأخ الذي ذكر أنه لا يوجد فيها الفائدة قد يكون عنده من العلم فعلًا فلا يجد فيها فائدة.

شكر الله لكم أيها الأخوة وأسأل الله سبحانه وتعالى، وجزاك الله خيرًا يا شيخ بدر، وأسأل الله أن يبارك فيك ويجعله في موازين حسناتك.

بارك الله فيكم وأحسن إليكم، وصلى الله على نبينا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.